مجموعة كتب ورسائل
الشيخ حمد بن علي بن عتيق
(٣)

الدفاع عن أهل السنة والاتباع

في الرد على ابن دعيج
حين صنف رسالة ضمنها تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة المسلمين
وأنهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن كان مظهراً للدين

ويليه

رسالة لصديق حسن خان تنبيه على أخطاء وقعت في تفسيره

للشيخ العلامة: حمد بن علي بن محمد بن عتيق المتوفى سنة ١٣٠١هـ

عني بتصحيحه ومراجعته
إسماعيل بن سعد بن عتيق

دار القرآن الكريم
بيروت ص. ب. ٧٤٩٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

الدِّفَاع

عَن أَهْلِ السُّنَّةِ وَالاتِّبَاع

طبع بأمر صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز

رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية

هدية من سموه لطلبة العلم أثابه الله خير الثواب

الطبعة الثانية
بيروت ـ ١٤٠٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان . وأزاح به شبه أهل الزيغ والخذلان . والصلاة والسلام على محمد حامل لواء الإيمان وماحي الشرك والأوثان وعلى آله وأصحابه الذين صادموا أهل الردة بالحجة والبرهان والسيف والسنان . . . وبعد فقد ثبت عن نبيناﷺ أنه قال من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . وإن بعض حقوق الله على عباده كشف شبهات الزائفين وبيان إلحاد الملحدين والذبّ عن أئمة الدين .

وقد انتهى إلينا ورقة قد بين قائلها عن نفسه وكشف فيها عن انحرافه وخطأ حدسه . شبه فيها على من لا بصيرة عنده . وقد بلغني عن أناس أنهم أخذوها ومالوا إليها واستحسنوها وليس ذلك ببدع من الجاهلين لاسيما مع خفاء الحق وغربة الدين وقبول النفوس للباطل وميلها عن الحق المبين . ولا سيما إن كان الذي أبداها منسوباً إلى العلم ويظن به دين . فإن الأمر كما قال السلف الصالح : احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون وهل تدري ما يهدم الإسلام؟ يهدمه زلة العالم وجدال منافق بالقرآن .

وبهذه الشبهات والخيالات والجهالات والضلالات عورضت النبوات واحتج أهلها بها على الرسالات كما أوضحت بذلك الآيات المحكمات . قال الله تعالى : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وتقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾(٣) فأخبر تعالى أنه جعل لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يلقي بعضهم إلى بعض الأقوال المزخرفة أي المحسنة المزينة التي يحسبها الجاهل حقاً فيغتر بها . كما قال تعالى في المنافقين : ﴿ وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾(٤) ثم أخبر أن القلوب التي لا إيمان فيها تصغى إلى هذا الباطل أي تميل إليه وأنهم يرضونه أي يقتنعون به عن الحق ويؤثرونه عليه ـ كما قال تعالى : ﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾(٥) ثم قال

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٨٣

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٣

(٣) سورة الانعام الآية : ١١٢ ـ ١١٣

(٤) سورة المنافقون الآية : ٤

(٥) سورة غافر ، الآية : ٨٣

﴿ وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾[1] أي أنهم إذا مالوا إلى شبهات أهل الباطل في الأقوال والأعمال والاعتقادات وكذلك ما يترتب على ذلك من شرور الدنيا والآخرة ولهذا قال ﴿ وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾ ثم كأن النفوس اشتاقت إلى ما يخلصها من هذا الباطل وما يترتب عليه فقال : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾[2] ثم كأن قائلا قال : وهل نحتاج إلى غير هذا الكتاب فقال : ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم ﴾[3] فلم يبق إلا أن السواد ليسوا على ذلك فقال ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾[4] وعلى حسب الإعراض عن الهدى والميل إلى شبهات الباطل يكون الضلال والخطأ من الأقوال والأفعال والعقائد .

فانظر إلى هذا المشبه وما في كلامه من أنواع الباطل فمن ذلك التناقض والكذب في البحث والذم لموصوف لا وجود له وتزكية الكفار وأئمة الردة ومدحه لهم والخروج عما دل عليه القرآن والسنة وما عليه الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٣
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١١٤
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١١٥
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١١٦

والخطأ في التعبير والضلال في الاستدلال . وهذه رسالته مفصحة بذلك حيث قال :

[أما بعدُ فيقول العبد الفقير المسترشد للعلم والعمل لا للمراء والجدل إني سائل عن مسألة عمت بها في وقتنا هذا البلوى والشكوى لعالم السر والنجوى والمسألة قد شاع خبرها وذاع وامتلأت بها الأسماع ونفرت منها القلوب والطباع . وقد اتخذها الهمج والرعاع الذين لا يميزون بين الغثّ والسمين هي الدين . بل عندهم هي أصل الدين . وإذا قلت للقائل بهذا القول عمن من أهل العلم نقلته فيقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته . فقل له يا مسكين اعلم أن الله حرم بعد الشرك القول عليه بلا علم فقال ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[1] والمسألة المشار إليها والمسؤول عنها هي التي غصت بها الحناجر وأسبلت على الخدود دموع المحاجر . وهي قول الجهلة الطغام الذي هم كالهوام . كل من أقام ببلدة وقد استولت عليها العساكر ولا عنها يهاجر فهو كافر - فنقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . كيف يكفر من قوّى الله يقينه وثبته على دينه . لأن العسكر في بلده على رغمه بالسيف ولوه ولا بالرجوع عن دينه أمروه ولا على شيء مما يثلم دينه أكرهوه ولا فتنوه[1] . ومع ذلك فالله سبحانه قد قدم حرمة بني

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٩

آدم على حرمته تعالى فأباحه ما حرمه عليه من أكل الميتة إذا خاف على نفسه الضرر من الجوع . وأباح الكفر إذا أكره عليه ـ قال عز من قائل : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكرِه وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ (١) الآية ، قال المفسرون وهم الصدر الأول ومن على قولهم المعول : نزلت في عمار بن ياسر أخذه المشركون فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير فتركوه فلما أتى النبي ﷺ قال ما وراءك يا عمار ؟ قال : شر يا رسول الله ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان . قال ﷺ : إن عادوا لك فعد لهم بما قلت ، قال ابن عباس : هو من أكره على الكفر فتكلم بلسانه وخالف قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما يؤاخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم فمن شرح بالكفر صدراً ـ أي فتحه ووسعه وارتد عن الدين وطابت بالكفر نفسه فذلك الذي ندين الله بتكفيره . وأما الذي مطمئن قلبه بالإيمان ولم يرتد عن دينه باق عليه مبغض لمن خالفه ما أجلسه في بلده إلا حماية نفسه وماله وولده مبغضاً للعساكر صابراً على ما ينوبه من المهاون والخسائر هاجراً للمناهي عاملاً بالأوامر فذاك والله هو المسلم الصابر المهاجر ومن كفَّر مسلماً فهو كافر] .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

فنقول قد جعلت للعقلاء سبيلاً إلى أن يضحكوا عليك ، لولا أن اللائق بمن سمع هذا الكلام أن يشتد بكاؤه ويعظم خوفه على دينه قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما
من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم
فالقلب بين أصابع الرحمن

فأما تناقضه فإنه ذكر أنه مسترشد سائل ، ثم ذهب يجيب بقوله فقل له إلى قوله فنقول ثم احتج وقرر وفرق وعذر فما بال السائل يجيب نفسه . ومن تناقضه أنه ذكر أولاً أن أهل الشرك وأئمة الردة لا يكرهونه على شيء يثلم دينه ثم ذكر أنه يخسر معهم في قتال المسلمين فأتبع خسران دينه خسران دنياه نسأل الله العافية . ومن تناقضه أنه ذكر أن العساكر لم يحملوه على فعل محرم ثم ذهب يذكر مسألة الإكراه وآية النحل وحديث عمار حين تكلم بكلمة الكفر فيقال الذي لم يحمله المشركون على الردة لا حاجة به الى ذكر هذه المسألة . فهذا منه إقرار بأنه قال الكفر وفعله ولكنه ادعى الإكراه عليه وسوف نبين أن عذره باطل وأن ما أفاده كلامه لازم له . ومن تناقضه أيضاً أنه ذكر أنه لا يكون كافراً إلا من طابت نفسه بالكفر وفتح صدره به . وقد ذكر قبل ذلك أن الله أباح للإنسان الكفر إذا أكره عليه فيقال

قاتلك الله يا بهيم إن كنت تزعم أنه لا يكفر إلا من شرح بالكفر صدراً فهل يقـدر أحـد أن يكره أحـداً على تغيير العقيدة وأن يشرح صدره بالكفر ؟ وسوف نبـين إن شاء الله أن الآية تدل على كفر من قال الكفر وفعله وإن كان يبغضه في الباطن مالم يكن مكرهاً . وأما إذا انشرح صدره بالكفر وطابت نفسـه به فذاك كافر مطلقاً مكرهاً أو غير مكره وهذا هو مدلول آية النحل وقصة عمار صريحة في ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى فهذا شيء من تناقضه وهو يدل على فساد مذهبه ـ كما قال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[1] وأما كذبه في البحث وذمه لموصوف لا وجود له فهو قوله : إن هذه المسألة قد شاع خبرها وذاع ونفرت منها الطباع . وأنها اتخذت أصل الدين وهي القول بأن كل من أقام ببلد وقد استولت عليها العساكر ولا عنها يهاجر . فقد كذب وافترى فإن هذه المقالـة التي ذكرها لا تعرف عند أحد من أئمة هذه الدعوة النجـدية وهم الذين قصد مخالفتهم فيما يدعون إليه من معاداة المشركين .

فأردت تَغرُ الناس بافتراء الكذب كما صنع أئمتك فإنـه لما بين الله هذا الدين في هذه الديار صار أعداؤه يصدون عنه بشبه ويضيفون إلى أهله من العيوب ما هو من أظهر الكذب صدّاً للناس عن سبيل الله كقولهم إنهم يكفرون المسلمين ويقتلون

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٢

من لا يستحقون القتل ولا يصلون على النبي ﷺ ونحو ذلك فإذا سمعه من جهل ما هم عليه جعل يذمهم ويسبهم وسبه واقع على موصوف غير موجـود.

قال شيخ الإسلام : نظير ما صرف الله عن رسول الله ﷺ حيث قال : ألا تعجبون من قريش يشتمون مذمماً وأنا محمد ـ كما تحكي الرافضة عن أهل السنة أنهم ناصبة ، وتحكي القدريَّة عنهم أنهم جبريَّة . وتحكي الجهمية عنهم أنهم مشبهة ويحكي من خالف الحديث عن أهله أنهم حشـوية إلى غـير ذلك من الأسماء المكذوبة عليهم انتهى .

وأنا أذكر ما عليه أئمة هذه الدعـوة النجـدية ومـن اقتفـى آثارهم ممن هداه الله في المسألة المشار إليها وأنه موفق لما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله وعمل الصحابة رضي الله عنهم ، فأقول : لا يخلو من أقام ببلاد المشركين من ثلاثة أقسام ـ أحدها أن يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحه أو يرضيهم بعيب المسلمـين أو يعاونهـم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه فهـذا عندهـم كافـر عدو لله ولرسوله لقوله تعالى ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافـرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾[1] قال ابن جرير : قد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ـ ويأتي كلامه بتمامه إن شاء الله تعالى . قال

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزؤ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾[3] وفي السنن عن سُمرة عن النبي ﷺ « من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله » وصح عن عبد الله بن عمر أنه قال : من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة ـ قال شيخ الاسلام : وظاهر هذا أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور ـ

وقال شيخ الاسلام : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ لما ذكر الانواع التي يكفر بها الرجل : النوع الرابع من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده يصرون لعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك وساعين في قتالهم ويعتذر أن ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بحاله ونفسه فهذا أيضاً كافر . فإنه لو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك إلا

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١

(٢) سورة النساء الآية : ١٤٠

(٣) سورة محمد ، الآية : ٢٥

بمخالفتهم فعل وموافقته مع الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا أيضاً كافر وهو ممن قال الله فيهم ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أُركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾[1] .

القسم الثاني : أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين بنفس ولا مال ولا لسان ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس ولكن يقولون إنه قد عصى الله ورسوله بترك الهجرة وإن كان مع ذلك يبغضهم في الباطن لقوله تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾[2]

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ أي بترك الهجرة ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ أي لِمَ مَكثتم ههنا وتركتم الهجرة - قال - فهذه الآية عامة لكل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو مرتكب حراماً

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩١

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧

بالإجماع وبنص هذه الآية . ثم ذكر ما تقدم من حديث سمرة مرفوعاً : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » رواه أبو داود . وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [1] **قال مجاهد** : نزلت عن قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة . **وقال الكلبي** عن أبي صالح عن ابن عباس لما أمر رسول الله ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من يتعلق به أهله وولده يقولون ننشدك الله أن لا تضيعنا فرقّ قلبه عليهم فيقيم عندهم فيدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية ـ أي قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة ﴿ إن كان آباؤكم ﴾ وذلك أنه لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا . فأنزل ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ﴾ تستطيبون منها يعني القصور والمنازل ﴿ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا ﴾ فانتظروا ﴿ حتى يأتي الله

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٤

بأمره ﴾ قال عطاء بقضائه . **وقال مجاهد** ومقاتل بفتح مكة وهذا أمر تهديد ﴿ والله لا يهـدي ﴾ لا يوافـق ولا يرشـد ﴿ القـوم الفاسقين ﴾ أي الخارجين عن الطاعة ـ انتهى في تفسير البغوي رحمه الله .

وما من أحد يترك الهجـرة إلا وهـو يعتذر بشيء من هذه الثمانية . وقد سد الله على الناس باب الاعتذار بها وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً ـ وإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض وقد أوجب الله الهجرة منها ولم يجعل محبتها عذراً فكيف بغيرها من البلدان . فقد ظهـر حينئـذ أن اعتذار هذا المشبه بماله وولده قد سبقه إليه هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية . هذا مع أنـه ضـم إلى جلوسـه معهـم ما هو أعظم من ذلك من الثناء عليهم وإقامة الأعذار لمن والاهـم ـ فالله المستعان .

القسم الثالث : من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهـم وهو نوعان ـ أحدهما : أن يكون يظهر دينه فيتبرأ منهم وما هم عليه ويصرح لهم ببراءته منهم وأنهم ليسوا على حق وأنهم على الباطل وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة . كما قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ الى آخر السورة .[1] فأمره أن يخاطبهم

---

(١) سورة الكافرون

بأنهم كافرون وأنه لا يعبد معبوداتهم وأنهم بريئون من عبادة الله أي أنهم على الشرك وليسوا على التوحيد . وأنه قد رضي بدينه الذي هو عليه وبرىء من دينهم الذي هم عليه . وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ﴾[1] فأمر نبيه أن يقول للناس إن شككتم في ديني الذي أنا عليه فأنا بريء من دينكم وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم . ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم . فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة . وليس المراد بإظهار الدين أن يترك الإنسان يصلي ولا يقال له اعبد الأوثان فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم ولا يكرهون الناس على أنهم يعبدون الأوثان ـ فعلى قول هؤلاء الجهلة لا تجب الهجرة على أحد ويبطل حكمها ـ والمقصود أن إظهار الدين هو التصريح للكفار بالعداوة كما احتج خالد بن الوليد على مجاعة بأنه سكت ولم يظهر البراءة كما أظهرها ثمامة واليشكري والقصة معروفة في السِّيَر ـ فما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم لم يكن إظهار الدين حاصلا .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٥٤

النوع الثاني : أن يقيم عندهم مستضعفاً وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال : ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾[1] وهذا الاستثناء بعدما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأن ﴿ مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾[2] فاستثنى من لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلاً ـ **قال ابن كثير** : لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال ﴿ لا يستطيعون حيلة ﴾ **قال عكرمة** : يعني نهوضاً إلى المدينة . ﴿ ولا يهتدون سبيلا ﴾ **قال مجاهد وعكرمة** : يعني طريقا ـ انتهى . وقال تعالى : ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾[3] فذكر في الآية الأولى حالهم وهي العجز عن الخروج وعدم دلالة الطريق وذكر في الآية الثانية مقالهم وهو أنهم يسألون الله أن يخرجهم من بلاد الشرك الظالم أهلها وأن يجعل لهم ولياً يتولاهم وناصراً ينصرهم فمن كانت تلك حاله وهذا مقاله ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾[4] فقد ظهر ما عليه أئمة

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧
(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧
(٣) سورة النساء ، الآية : ٧٥
(٤) سورة النساء ، الآية : ٩٩

هذه الدعوة النجدية لا ما ينسبه إليهم هذا المشبه المفتري وحينئذ يتبين سوء حاله ودخوله في المذمومين الضالين وذلك لموالاتهم أهل الكفر والذب عنهم ومدحهم بالكذب وتحامله على من وحد الله وتبرأ من المشركين وصارحهم بالعداوة وسلك ما ذكره الله عن إبراهيم وإخوانه من المرسلين حيث يقول : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾[1] فهذا هو الذي نفر منهم طبعه وقلبه ـ كما قال تعالى : ﴿ وإذا ذُكِرَ الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِرَ الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾[2] وقال ابن القيم رحمه الله :

وإذا ذكرت الله توحيد رأيت
وجوههم مكسوفة الألوان
بل ينظرون إليك شزراً مثل ما
نظر التيوس إلى عصى الجان
وإذا ذكرت بمدحة شركاهم
يتباشرون تباشر الفرحان

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٤٥

والله ما شمـــوا روائـح دينـه
يا زكمــة أعيت طبيب زمـان

فأما تزكية الكفار وأئمة الردة ومدحه لهم فقوله إنهم ما أمروا واحداً برجوع عن دينه ولا حملوه على ما يثلم دينه ولا فتنوه ـ فنقول أما من كان دينـه بهـواه وانقياده لأهـل الكفـر ولأهـل الإسلام سواء وإعانة الطائفتين سواء عنده فهو إمعة إن أسلم أهل بلده أسلم وإن ارتدوا ارتد كالذين قال الله فيهم ﴿ ولـو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبَّثوا بها إلا يسيرا ﴾[1] فهذا لا يعرض له أهل الشرك ولا أئمة الردة كما وقع لهذا المشبهوأمثالهفإنه فيوقت إقامة الله لهذاالدين إنقاد لأهله ودخل معهم فلما تولت الطائفة الخارجة على الإسلام صار عند خرشد يصبحه بالخير ويمسيه كما هو معروف من حاله فمن كان دينه بهذه المثابة فأي طريق لأهل الباطل تركها إليه ـ أما من كان دينه الإسلام المبني على صرف جميع العبادات لله ونفي الشرك وبغضه وبغض أهله ومعاداتهم ومقاطعتهم فهذا لا يتركه أهل الكفر على دينـه مع القـدرة عليه . كما قال : ﴿ ولا يزالـون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[2] وكما أخبر الله بذلك عن أصحاب أهل الكهف حيث قال : ﴿ إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ١٤

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

أبداً ﴾[1] بل أخبر الله بذلك عن جميع الكفار حيث يقول : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم ﴾[2] الآية ، وقال قوم شعيب ﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾[3] وكذلك قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ : يا ليتني أكون جذعاً إذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم ؟ قال نعم : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي فلذلك أخرجوه من مكة إلى الطائف ثم هاجر إلى المدينة بعد ما هاجر طائفة من أصحابه إلى الحبشة مرتين وحينئذ تبين ضلال هذا القائل فإنه أتى على أهل الباطل بالكذب ومدحهم بما يعلم بضرورة أنه باطل فإنه قد علم ما هم عليه من أنواع الكفر وما هو الذي جاء بهم إلى هذه الجهات وأنهم سعوا في زوال هذا الدين ونقلوا أئمة أهله وقتلوا كثيراً من أهل العلم والدين لما لم يوافقوهم على الردة ويدخلوا في دينهم الباطل كالذين قال الله فيهم : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ﴾[4] فما أشبه حالهم بما ذكر الله في هذه الآية ـ وأما قوله : إن الله قدم حرمة بني آدم على حرمته حيث أباحه الميتة فعبارة ركيكة لم

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٠

(٢) سورة ابراهيم ، الآية : ١٣

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٨٨

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٢١

يتأدب قائلها مع رب العزة والجلال سبحانه وتعالى وذلك أن الله سبحانه حرم الميتة على عباده في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم الميتة ﴾[1] قال ابن كثير : وهي مامات حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد وما ذاك إلا لما فيها من المضرة لما فيها من الدم المحتقن - انتهى - فظهر أن تحريم الميتة إنما هو حفظ لابن آدم عما يضره فكيف يقال إن المنع من الميتة لحرمة الله تعالى وتقدس وأيضاً فهي خطأ من جهة المعنى فإنها صريحة بإباحة الميتة بمجرد خوف الضرر لا لمجرد خوفه قال الله تعالى : ﴿ فمن اضطُرَّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ فمن اضطُر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾[3] فشرط بعد حصول الضرر أن لا يكون المتناول باغياً ولا عادياً والفرق بين الحالين لا يخفى على ذي عين - ثم يقال أيضاً وهل في إباحة الميتة للمضطر ما يدل على جواز الردة اختياراً وهل هذا إلا كقياس تزوج الأخت والبنت بإباحة تزوج الحر المملوكة عند خوف العنت وعدم الطول فقد زاد هذا المشبه على قياس الذين قالوا : ﴿ إنما البيع مثل الربا ﴾[4] وأما خروجه عما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة وما عليه الصحابة ومن بعدهم من

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٧٣

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥

أهل العلم فقوله : فمن شرح بالكفر صدراً أي فتحه ووسعه وارتد عن الدين وطابت نفسه بالكفر فذلك الذي ندين الله بتكفيره . هذه عبارته وصريحها أن من قال الكفر أو فعله لا يكون كافراً وأنه لا يكفر إلا من فتح صدره للكفر ووسعه وهذا معارضة لصريح المعقول وصحيح المنقول وسلوك سبيل غير سبيل المؤمنين فإن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة قد اتفقت على أن من قال الكفر أو فعله كفر ولا يشترط في ذلك انشراح الصدر بالكفر ولا يستثنى من ذلك إلا المكره . وأما من شرح بالكفر صدراً أي فتحه ووسعه وطابت نفسه به ورضي فهذا كافر عدو لله ولرسوله وإن لم يتلفظ بذلك بلسانه ولا فعله بجوارحه - هذا هو المعلوم بدلالة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ونبين ذلك بوجوه :

أحدها : قوله ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكْرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[1] وفي تفسير الجلالين قوله : ﴿ من كفر بالله ﴾ من مبتدأ أو شرطية والجزاء والجواب - لهم وعيد شديد دل عليه هذا فيكون التقدير : من كفر بالله من بعد إيمانه فلهم وعيد شديد - إلا من

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

أكره ـ ومن المعلوم أن الإكراه لا يكون إلا على قول أو فعل لا يكون على انشراح صدر وعقيدة ثم قال ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ﴾ ولما كان الإكراه على شرح الصدر ممتنعاً لم يستثن فيه كما استثني فيما قبله وما نقله هذا المشبه مما جرى لعمار ظاهر في أنهم أكرهوه على قول بلسانه فإن فيه أنهم لم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتم بخير وقال عمار ما تركت حتى نلت منك وأن الله أنزل في ذلك :

﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[1] الآية .

كل هذا يدل على أن القول يكفّر وإن لم ينشرح الصدر ما لم يكن الرجل مكرهاً عليه وكذا ما ذكره عن ابن عباس ـ من أكره على الكفر فتكلم بلسانه ظاهر في أنه إذا تكلم بالكفر مختاراً يكفر وإن اطمأن قلبه بالإيمان ـ يوضحه الوجه الثاني وهو قوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾[2] **قال ابن جرير** : هذا نهي من الله للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أعواناً وأنصاراً ـ ومعنى ذلك لا يتخذ المؤمنون الكافرين ظهراً وأنصاراً أي

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

يوالونهم على دينهم ويظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين ويدلونهم على عوراتهم ـ فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء ـ يعني بذلك فقد برىء من الله وبرىء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر .

ـ إلا أن تتقوا منهم تقاة ـ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهرون لهم الولاية بألسنتكم ولا تتابعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم . ثم روى عن السدي قال (أولياء) يوالونهم في دينهم ويظهرونهم على عورات المؤمنين فمن فعل ذلك فهو مشرك فقد برىء من الله إلا أن يتقي منهم تقاة ـ وعن عكرمة إلا أن تتقوا منهم تقاة قال ما لم يهرق دم مسلم وما لم يستحل ماله . وعن أبي العالية التقاة باللسان وليس بالعمل . وعن الضحاك : التقاة باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم مخافة على نفسه فلا إثم عليه إنما التقاة باللسان .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾[1] التقاة باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان فإن ذلك لا يضره إنما التقية باللسان . انتهى فقد صرح أن من ظاهرهم ودلهم على عورات المسلمين فقد ارتد عن الإسلام ودخل في الكفر أي وإن كان يقر

(١) سورة : آل عمران ، الآية . ٢٨

بكفرهم ويعتقده فكيف إذا كان مع ذلك يذب عنهم ويمدحهم بالكذب وتأمل قوله ويظهرون لهم الولاية بألسنتهم ولا يتابعونهم على ما هم عليه من الكفر ولا يعينونهم على مسلم وكذلك ما ذكر عن السدي أن من دلهم على عورات المؤمنين فهو مشرك وعن عكرمة أن التقاة وإن أبيحت باللسان عند الإكراه فإذا أفضت إلى سفك دم مسلم واستحلال ماله لم تبح وكذلك كلام ابن عباس والضحاك وغيرهما من أن المراد من قوله ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾[1] أن يحمل الرجل على أن يتكلم بما هو معصية الله فمباح له ذلك وأما العمل فلم يَروه داخلا في ذلك حتى عند الإكراه فدل كلامهم على ثلاثة أمور : **أحدها** : أن يحمل الانسان أي يكره ويلزم . **الثاني** : أنه عند ذلك لا يباح له إلا الكلام لا الفعل . **الثالث** : أنه إذا أكره وتكلم فلا بد من طمأنينة القلب بالإيمان ومفهوم ذلك أنه إذا تكلم بالكفر من غير إكراه كفر وإن كان قلبه مطمئن بالإيمان كما أن من شرح بالكفر صدراً كفر وإن لم يتكلم ـ وسيأتي إن شاء الله معنى الإكراه ـ فإذا كانت هذه الطائفة الكافرة جاءت لهدم المساجد وبناء المشاهد وقتل الموحدين وإبقاء المفسدين فمن تابعهم على ذلك وصار جنداً لهم فيه يخسر معهم في ذلك أفلا يكون هذا من أظهر المتابعة على الكفر وأكبر الإعانة على المسلمين . والمقصود أن

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

هذا الإمام ذكر أن هذا ردة عن الإسلام ولـم يشتـرط انشراح الصدر مع ذلك بالكفر .

وأفاد كلام ابن عباس أن قوله ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ كقوله : ﴿ إلا من أكره ﴾

الوجه الثالث : قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئـون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾[1] وسبب نزولها أن ناساً قالـوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء . فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ جاء بعضهم يعتذر فأنزل الله﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾[2]فهؤلاء قد كفّرهم الله بهذه المقالة ولم يتوقف كفرهم على عقيدة القلب .

الوجه الرابع : قوله : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقـد قالـوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾[3] ذكر أنها نزلت في رجل قال إن كان محمد صادقاً فنحن أشر من الحمير فكفره الله بهذه المقالة وسماها كلمة الكفر أي من قالها كفر ولا يشترط في كفره انشراح الصدر بالكفر .

الوجه الخامس : قوله تعالى إخباراً عن الملكين ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفـر ﴾[4] استـدل بهـا

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٦٥

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٦٦

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٧٤

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢

العلماء على كفر من تعلم السحر وعمل به وإن اعتقد بطلانه .

الوجه السادس : قوله ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1] . فقد بين أن من أنكر البعث بلسانه فقد كفر بربه واستحق الخلود في النار سواء اعتقد ذلك بقلبه أو لم يعتقده .

الوجه السابع : قوله : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ﴾[2] فهذه الآية تدل على أن من نقض عهده وطعن في دين الإسلام فهو من أئمة الكفر ولا يشترط في ذلك الاطلاع على قلبه . وإن شرح بالكفر صدراً .

الوجه الثامن : ما رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما عن البراء قال لقيت خالي أبا بردة ومعه الراية فقال أرسلني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن أقتله وآخذ ماله وذكر ابن خيثمة في تاريخه من حديث مرة معاوية بن مرة عن جده أن رسول الله ﷺ بعث إلى رجل عروساً بإمرأة أبيه فضرب عنقه وخمس ماله . وقد نص أحمد في رجل تزوج امرأة أبيه أو بذات محرم قال يقتل ويدخل ماله في بيت المال ـ وهذا ظاهر في أن من

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٥

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢

ظهر منه استحلال محارم الله كفر وقتل ولا يشترط في ذلك انشراح صدره بالكفر ـ وحكى الإجماع على ذلك كثير منهم شيخ الإسلام ابن تيمية .

الوجه التاسع : أنها لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ وافترق أهلها في ردتهم أجمع أصحابه على كفرهم وقتالهم ولم يفرقوا بين من كره ذلك في الباطن أو رضيه إلا من ظهرت منه البراءة منهم ـ بل لما ادعى بعضهم أنه على الإسلام أكذبوه في دعواه .

الوجه العاشر : القصة التي وقعت في زمن الصحابة وهي أن بقايا بني حنيفة لما رجعوا إلى الاسلام وتبرأوا من مسيلمة وأقروا بكذبه انتقلوا إلى الكوفة فمر بعض المسلمين بمسجدهم فسمع منهم كلاماً معناه أن مسيلمة على حق وهم جماعة كثيرون لكن الساكت لم ينكر على المتكلم فرفع أمرهم إلى ابن مسعود فجمع من كان عنده من الصحابة فاستشارهم هل يقتلهم وإن تابوا أو يستتيبهم فأشار بعضهم بقتلهم بغير استتابة وأشار بعضهم باستتابتهم فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم من غير استتابة .

فنقول هل لاسأل الصحابة هؤلاء عن عقيدتهم وهل كانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان منشرحة بالكفر . بل قد علموا من دين نبيهم أن من قال الكفر أو فعله أو رضي به مختاراً كفر وإن كان مع ذلك يبغض بقلبه وبهذا تبعهم على ذلك علماء السنة

والحديث وذكر ذلك في كتبهم حيث قالوا إن المرتد هو الـذي يكفر بعد إسلامه إما نطقاً وإما فعلاً وإما اعتقاداً فقرروا أن من قال الكفر كفر وإن لم يعتقده ولم يعمل به إذا لم يكن مكرهاً وكذلك إذا فعل الكفر كفر وإن لم يعتقده ولا نطق به وكذلك إذا شرح بالكفر صدره أي فتحه ووسعه وإن لم ينطق بذلك ولم يعمل به وهذا معلوم قطعاً من كتبهم ومـن له ممارسـة في العلم فلا بد أن يكون قد بلغ طائفة من ذلك .

نقول هذا الرجل إنه لا يكفر إلا من شرح بالكفـر صدراً يدل على وفور جهله بل على سخافة عقله يدل على ذلك قوله : وأما الذي مطمئن قلبه بالإيمان لم يرتدعن دينه باق عليه مبغضاً لمن خالفه ما أجلسه في بلده إلا حماية لنفسه وماله وولده وقوله مطمئن قلبه بالإيمان كلام من لا يدري ما يقول وذلك أنه يظن أنه إذا قال الكفر أو فعله اختياراً ينفعه طمأنينة قلبه بالإيمان وقد قدمنا فساد هذا القول وأن المتكلم بالكفر أو الفاعل له لا ينفعه طمأنينة قلبه بالإيمان إلا حيث كان مكرهاً على ذلك وأن الإكراه يتعلق بالقول لا بالعقيدة فإن قيل ما الإكراه الذي يبيح التكلم بالكفر ما هو الجواب ـ فالجواب أن نقول السبب الذي نزلت فيه الآية هو أظهـر ما فسر به الإكراه قال البغـوي رحمـه الله تعالى : قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾[1] في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

ياسراً وأمه سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً يعذبونهم ـ فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجىء قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً وغطوه في بئر ميمون قالوا له اكفر بمحمد فتابعه على ذلك وقلبه كاره فأخبر رسول الله ﷺ إن عماراً كفر قال كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي قال رسول الله ﷺ ما وراءك ؟ قال : شر يا رسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال : كيف وجدت قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال له : إن عادوا لك فعد بما قلت فنزلت هذه الآية وذكر عن مجاهد أن قوماً خرجوا مهاجرين فلحقتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين فنزلت الآية . وعن مقاتل أنها نزلت في مملوك أكرهه سيده على الكفر ـ انتهى ـ فمن حصل عليه ما حصل على هؤلاء أبيح له ما أبيح لهم فإن عماراً لم يتكلم بالكفر إلا بعد ما قتلوا أباه وأمه وبعدما ضربوه وغطوه في البئر وكذلك الذين أدركهم المشركون وكذلك المملوك الذي أكرهه سيده وغيرهم ممن ذكره السلف عند هذه الآية كلهم لم يتكلموا بالكفر إلا بعد ضرب أو تهديد ولهذا لما اعتذر بعضهم على مسألة المحنة من الإمام أحمد بحديث عمار قال لهم الإمام أحمد رحمه الله : إن عماراً ضربوه وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

تأملت المذهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره عليه فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها فإن أحمد قد نصَّ في غير موضع أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب وقيد ولا يكون الكلام إكراهاً وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها يمسكه فلها أن ترجع بناء على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها فعلى خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراه ولفظه في موضع آخر أنه أكرهها - ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر فإن الأسير إذا خشي من الكفار أن لا يزوجوه وأن يحولوا بينه وبين امرأته لم يبح له التكلم بكلمة الكفر - انتهى - ومثله كثير في كلام غيره وإذا تبين ذلك فقد تقدم أن مظاهرة المشركين ودلالتهم على عورات المسلمين أو الذب عنهم بلسان أو رضي بما هم عليه كل هذه مكفرات ممن صدرت منه من غير الإكراه المذكور فهو مرتد وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين وقد تقدم ذلك في غير موضع وإنما كررنا لعموم الجهل به وشدة الحاجة إلى معرفته وأما قوله مبغضاً لمن خالفهفإن أراد الذين خالفوه فعادوا المشركين لما والاهم وجاهدوهم لما صاحبهم كما هو ظاهر ورقته وقد صرح بزندقته يشهد على ذلك قوله مبغضاً للعساكر . وأيضاً فإنه لما تحامل على أهل التوحيد الذين خالفوه وجعل يمدح أهل الكفر والفساد تبين لنا أن ما ادعاه من بغضهم كذب فإن البغض الذي لا تقارنه العداوة

الظاهرة لا ينفع وأيضاً فكيف يتصور أن يكون يبغضهم من هو يصفهم بأنهم لا يأمرون بالرجوع عن الدين ولا يحملون على شيء كيف يجتمع المدح مع البغض ـ وأيضاً فكما أن بغض المشركين يستلزم عداوتهم فكذلك محبة المسلمين تستلزم موالاتهم فإن وجود العيب لهم والتتبع عليهم بالكذب يدل على شدة عداوتهم وقد قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[1]الآية وقال ابن القيم رحمه الله :

تحب أعداء الحبيب وتدعي
حباً له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه
أين المحبة يا أخا الشيطان

وأما إعتذاره بما ليس عذراً فقوله : ـ ما أجلسه في بلده إلا حماية نفسه وماله وولده ـ فنقول أولاً إذا كان قد ذكر أن قد قوي يقينه وثبته على دينه وأن الكفار ما حملوه على ما يثلم دينه وأنه هاجر للمناهي عامل بالأوامر فلا حاجة له إلى هذا الاعتذار فإن من كانت هذه حاله فقد حل في أعلى رتبة من الدين أعلى بألف . وإنما يحتاج إلى ذلك من عرف أن الجلوس عندهم قدح في دينه وضعف في يقينه وأن ما حمله عليه هذه الأعذار ، وقد بينا فيما تقدم أن الله سد على المخلوق باب الإعتذار بثمانية

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

المذكورة في قوله تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ﴾[1] إلى قوله ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[2] .

وأن المسلم إذا جلس عند المشركين لأجل هذه الثمانية من غير أن يصدر منه شيء من المكفرات فقد سماه الله فاسقاً . وأما إذا صدر منه مكفر فإنه يحكم عليه به .

ويقال ثانياً : إذا كان قد قام الدليل على وجوب الهجرة وأنها لا تنقطع حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها فمتى يحصل العمل بهذا الفرض ومتى يوجد القيام بهذا الواجب . وإذا لم تجب الهجرة عن مكان الأتراك الذين قد شاع كفرهم وتنوع فسادهم في الأرض فكونها لا تجب عن أماكن غيرهم بطريق الأولى فمضمون كلام هذا المشبه إسقاط هذا الواجب .

وأما قوله صابراً على ما ينوبه من الخسائر فنقول مأزور غير مأجور . فإن الصبر المحمود هو الصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى أقضيته وأقداره . ومن صبر على الخسائر لأهل الباطل في إطفاء نور الله وإشاعة المنكرات فقد صبر على طاعة الشيطان وسخط الرحمن بهدم الإسلام والإيمان وأما تسميته من فعل ذلك مسلماً صابراً مهاجراً فهذا مغالطة من القول فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والصابر من صبر على

(١) و (٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٤

طاعة ربه والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ـ وإن كنت تسمي من أقام عند المشركين مسلماً صابراً مهاجراً والله تعالى قد سماه فاسقاً ظالماً لنفسه وذلك في آية سورة التوبة وآية سورة النساء كما تقدم ـ أترى أن تكون الصادق لا كلام الله أم بالعكس بل قد كذبت وضللت فمن أصدق من الله حديثاً ـ فيا ويلك ما أجرأك على الله وأشد جهالتك بكتاب الله وأعظم مخالفتك لرسول الله . وإذا كان الله قد سمى من خرج من بلاده مهاجراً إلى الله ورسوله . وأنت تقول من أقام عند المشركين فهو المهاجر والنبي ﷺ يقول المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ومن أعظم ما نهى الله عنه القعود عند المشركين وأنت تقول من قعد عندهم فهو المهاجر ـ فما أبين هذا التحريف للكَلِم عن مواضعه وما أظهر هذا الإلحاد في آيات الله وأحكامه لقد شاق صاحبه لربه ولرسوله ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾[1] ثم أنه طلب في آخر نسخته ممن وقف عليها أن يبين له الحق وأن ما ذكره أباطيل وأضاليل ـ فنقول قد ظهر بعض ما فيها من الأباطيل والأضاليل فالواجب الرجوع إلى الإسلام والإيمان والتوبة إلى عالم السر والإعلان والعزم على عداوة أهل الكفر والفسوق والعصيان وموالات أهل السنة والقرآن

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٥

ومراجعة ما أنـزل الله على سيد ولـد عدنـان وليس بعـده إلا المكابرة والعناد والخذلان وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ما بعـد البيان لمنصف
إلا العنـاد ومـركب الخذلان

وقد قال تعالى : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[1] ومما يجب على الإنسان أن يحذره ويخاف منه رد الحق بعد ظهوره فإن صاحبه على خطر من تقلب القلب كما قال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهـم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾[2] اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطـر السمـوات والأرض عالـم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانـوا فيه يختلفـون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مسـتقيم . وقـال النبـي ﷺ استفتحـوا بهـذا في صلاة الليل . وهو من أنفع الأدعية وأجمعهـا وصلى الله على سيدنـا محمد آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٥٠

(٢) سورة الانعام ، الآية : ١١٠

قال مؤلفها : وكان الفراغ منه في ربيع الأول سنـة واحـد وستين ومائتين وألف .

قال جامعه : حمـد بن علي بن محمد عتيق بن راشـد بن حميظـة.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

* * *

رسالة لصدّيق حسن خان

تنبيه له على أخطاء وقعت في تفسيره

للشيخ العلّامة

حمد بن علي بن محمّد بن عتيق

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في مآله من عذاب الحريق .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السنن والأحكام إعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والأغلال ثم وصل إلينا كتاب الحطة وتحرير الأحاديث في تلك الفصول فازددنا فرحاً وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ـ وكان لي ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والإلتقاط من جواهركم لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهل وغلبة الأهواء فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمراً عجيباً ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه ـ لما من التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الإستقامة وحمل كلام الله على

غير مراد الله وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة وجعلت السنة كذلك فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشيه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام . فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله : ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾[1] فالحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً كما يحب ربنا ويرضى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ـ فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة والله على كل شيء قدير فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس ـ فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات فإن مقرنا في فلج اليمامة ـ ومنها خطر الطريق وكثرة القطاع وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل ، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك من رافضي وجهمي إلى معتزلي ونحوهم وكلهم أعداء قاتلهم الله ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً ـ ومع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره وأن يجعلنا من أهله وأن يسهل الطريق ويرفع الموانع ونسأله أن يمن بذلك فهو القادر عليه ولما رأينا ما منَّ الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع وعرفنا تمكنكم من الآلات وكانت نونية بن القيم المسماة بالكافية الشافية في

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٦٥

الانتصار للفرقة الناجية بين أيدينا ولنا بها عناية ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة وفيها مواضع محتاجة إلى البيان ولم يبلغنا أن أحداً تصدى لشرحها غلب على الظن أنك تقدر على ذلك فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور وهي واصلة إليك إن شاء الله فاجعل قراها شرحها وبيان معناها وأصلح في النية ذلك تكن حرباً لجميع أهل البدع فإنها لم تبق طائفة منهم إلا ردت عليها فهذان مقصدان من بعثها إليك أحدهما شرحها والثاني الاستعانة بها على الرد على أهل البدع لأن مثلك يحتاج إلى ذلك لكونك في زمان الغرابة وبلاد الغربة ـ فإن كنت حريصاً على ذلك فعليك بكتاب العقل والنقل والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة والجيوش الاسلامية لابن القيم ونحوهن من كتبهما فإن فيها الهدى والشفاء ـ ولنا مقصد رابع مهم وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٧ هجرية فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق وظننت أن لذلك سببين أحدهما أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالباً ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل

ذلك ـ والثاني أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عباراتهم بعضاً بلفظه وبعضاً بمعناه فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال ـ وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره . وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث وجد قلّته وما هو أكثر منه وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل وأنه من ذلك القليل . وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك . وأنا اجترأت عليك وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى التنبيه ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل . ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم وتحرص على ذلك وتقبل العلم ولو ممن هو دونك بكثير فرجوت أن ذلك عنوان توفيق جعلك الله كذلك وخيراً من ذلك .

واعلم أرشدك الله أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير أو شرح حديث اختبرناه واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال فوجدنا الغالب على كثير

من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها - وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب فمن رزقه الله بصيرة ونوراً وأمعن النظر فيما قالوه وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله وما عليه أهل السنة المحضة تبين له المنافاة بينهما وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار . فأعرض عما قالوه وأقبل على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها ففيه الشفاء والمقنع وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقرره - فلما اعتبرنا هذا التفسير وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقرره وليتك اقتصرت على ذلك ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع فإنه لا خير في أكثره وما فيه من شيء صحيح فقد وجد في كلام السلف وأئمة السنة ما يغني عنه بعبارات تنشرح لها الصدور . وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله لما قيل له لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح . قال ما معناه لآمن الإعراض عن الكتاب ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة من يتلقاها ويعتني بها وأظهرها مع ما فيها من الرد على أهل البدع وعيبهم وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم . فإن الله

قد ضمن لهذا الدين أن يظهر على الدين كله ـ والمقصود : أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق ولنذكر لك بعض ذلك فمنه أني نظرت في الكلام على آية الاستواء فرأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعة النفاة كما تقدم . ومنه أن في الكلام تعارضاً ـ كقولكم في آية يونس : وظاهر الآية على أنه سبحانه إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض لأن كلمة [ثم] للترتيب ـ ثم قلتم في سورة الرعد ـ وثم هنا لمجرد العطف لا للتربيب لأن الاستواء عليه غير مرتب على رفع السموات . وكذلك قلتم في سورة السجدة وليست ثم للترتيب بل بمعنى الواو .

فلينظر في هذا من وجهين ـ أحدهما أن ظاهره التعارض ـ الثاني : أن القول بأن ثم لمجرد العطف لا للترتيب في هذه الآيات ـ إنما يقوله من فسر الإستواء بالقهر والغلبة وعدم الترتيب ظاهر على قولهم ـ وأما السلف وأئمة السنة وأهل التحقيق فقد جعلوا اطراد الآيات في جميع المواضع دليلاً على ثبوت الترتيب وردوا به على نفاة الإستواءوأبطلوا به تأويلاتهم كما هو معروف ومقرر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات . وقد رأيت للرازي عبارة في التفسير تفهم ذلك فلعلك بنيت على قوله ـ وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر فله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة وآخر أمره الحيرة نرجو أنه تاب من ذلك ومات

على السنة . فلا تغتر بأمثال هؤلاء ـ قال شيخ الإسلام رحمه الله في المحصل :

وسائر كتب الكلام والمختلف أهلها مثل كتب الرازي وأمثاله وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء لا يوجد فيها ما بعث الله به رسوله في أصول الدين بل وجد فيها حق ملبوس بباطل ـ انتهى من منهاج السنة وقد قال بعض العلماء في المحصل :

محصل في أصول الدين حاصله
من بعد تحصيله أصل بلا دين
أصل الضلال والشرك المبين وما
فيه وأكثره وحي الشياطين

فكيف تسمح نفس عاقل أن يعتمد على مثل قول هؤلاء ـ ومن ذلك أنكم قلتم في سورة يونس أيضاً : استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وهذه طريقة السلف المفوضين . وقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود انتهى . فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة وينسبونه إلى السلف . وهو أنهم يمرون الألفاظ ويؤمنون بها من غير أن يعتقدوا لها معان تليق بالله أو أنهم لا يعرفون معانيها فهذا أكذب على السلف من النفاة وإذا قال السلف أمروها كما جاءت بلا كيف فإنما ينفون علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة

الصفة . ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وأمروها كما جاءت بلا كيف فالاستواء لا يكون حينئذ معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف الجر . وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفس علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى . وإنما يحتاج إلى نفس علم الكيفية إذا ثبتت الصفات ـ هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ولا نشك أن هذا اعتقادك ولكن المراد أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع لم تتصور مرادهم فتنبه لمثل ذلك .

وأما قول القائل يتقدس الديان عن المكان فهذا لم ينطق السلف فيه بنفي ولا إثبات وهو من عبارات المتكلمين ومرادهم به نفي علو الله على خلقه لأن لفظ المكان فيه إجمال يحتمل الحق والباطل كلفظ الجهة والعلو والكلام في ذلك معروف في كتب شيخ الإسلام وابن القيم فارجع إلى ذلك تجده ولا نطيل به وحسب الاقتصار في هذا الباب على ما ورد في الكتاب والسنة كما قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ومن ذلك ما ذكرتم عند قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾(١) وقد قيل إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ووجودها متأخر وقد ذكرها

(١) سورة فصلت ، الآية : ١١

جماعة من أهل العلم هذا جمع جيد يجب المصير إليه وفي ﴿ حم ﴾ السجدة ـ الجواب أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل عبارة عن التقدير أيضاً ـ والمعنى ﴿ قضى ﴾ أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء والجواب المشهور أنه خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء بعدها ثم دحا الأرض وحدها والأول أولى ـ ففي هذا نوع تعارض .

ومن ذلك قولكم على البسملة والرحمة إرادة الخير والإحسان لأهله . وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحقه فهو على الأول صفة وعلى الثاني صفة فعل ـ انتهى ـ وهذا هو التأويل المعروف عن بعض أهل البدع يردون هذه الصفات إلى الإرادة فراراً مما فهموه حيث قالوا إن الرحمة ورقة القلب لا يصلح نسبتها إلى الله تعالى ـ فقال لهم أهل السنة هذه رحمة المخلوق ورحمة الرب تليق بجلاله لا يعلم كيف هي إلا هو ويلزمهم في الإرادة نظير ما فروا منه في الرحمة . فإن الإرادة هي ميل القلب فإما أن تثبت إرادة تليق بالرب تعالى وهو الحق في جميع الصفات وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل ـ والآفة دخلت على النفاة من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق فذهبوا لينفوا ذلك . ويقابلونه بالتأويلات .

قال شيخ الإسلام : إنهم شبهوا أولاً فعطلوا آخراً ـ وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله ونفوا عنه مشابهة المخلوقين فسلموا من التشبيه والتعطيل ـ ومن ذلك أنكم أكثرتم في هذا التفسير من حمل بعض الآيات على المجاز وأنواعه وقد علمتم أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز حدث بعد القرون المفضلة ولم يتكلم الرب به ولا رسوله ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان . والذي يتكلم به من أهل اللغة يقول في بعض الآيات : وهذا من مجاز اللغة ومراده أن هذا مما يجوز في اللغة لم يرد بهذا الحادث ولا خطر بباله ولا سيما وقد قالوا : إن المجاز يصح نفيه فكيف يليق حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك . وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان الكبير بما كفى وشفى وذكر الآيات التي استدلوا بها وبعض الأمثلة التي ذكروها وأجاب عن ذلك بما إذا طالعه المنصف عرف الصواب وقواعده أن المجاز لا يدخل في النصوص ولا يهولنك إطباق المتأخرين عليه فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه والعاقل يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال . ومن عرف غربة الإسلام والسنة لم يغتر بأقوال الناس وإن كثرت . والله تعالى قال :

﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾[1]

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٦

الآية ، ومن أبلغ الناس بحثاً في المعاني الزمخشري وله في تفسيره مواضع حسنة ولكنه معروف بالإعتزال ونفي الصفات والتكلف في التأويلات والحكم على الله بالشريعة الباطلة مع ما هو عليه من سبه السلف وذمهم والتنقص لهم وفي تفسيره عقارب لا يعرفه إلا الخواص من أهل السنة وقد قال فيه بعض العلماء :

ولكنه فيه مجال لقائل
وزلات سوء قد أخذن المخانقا
ويشهد في معنى القليل إشارة
بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلاً
وكان محباً في الخطابة وامقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة
ولا سيما إن أولجوه المضائقا
لئن لم تداركه من الله رحمة
لسوف يرى للكافرين مرافقا

والمقصود أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن قبله ومن يقربه في زمانه لم يعرج على هذه الأمور وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه .

وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه .

فنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه ـ وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحاً لله ورسوله رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يبق إلا رسومه ،وأنا انتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب . ثم إني لما رأيت الترجمة وقد سمى فيها بعض مصنفاتك وكنت في بلاد قليلة فيها الكتب . وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس لأجل ضرورتهم كما قيل : خلا لك الجو فبيضي واصفري ـ وألتمس من جنابك تفضل علينا ببلوغ السؤول من أقضية الرسول . والروضة الندية شرح الدرر البهية ونيل المرام شرح آيات الأحكام . فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك بها وابعث بها إلينا مأجوراً إن شاء الله تعالى ـ وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى الساكن في مكة المكرمة المشرفة واكتب لنا تعريفاً بأحوالكم . ولعل أحد منكم من يتلقى هذا العلم ويعتني به ويحفظه عنك واحرص على ذلك طمعاً أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة ونسأل الله أن يهب لك ذلك . ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار لا آمن هجوم المنية ولي أولاد ثمانية منهم ثلاثة يطلبون العلم كبيرهم سعد المذكور أولاً ويليه عبد العزيز وتحته عبد

اللطيف ونرجو أنهم أهل الكتب وممن يعتز بها ويحفظها . وبقيتهم صغار منهم من هو في المكتب . ومن دعائنا : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما[1] . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرِنا مناسكنا وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾[2] لا تنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٧٤

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٨